العنوان:	الباشا البغدادي في ذاكرة فاس 1850 - 1932
المصدر:	ندوة فاس : التاريخ، والتراث والإشعاع الثقافي
الناشر:	كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بفاس
المؤلف الرئيسي:	أوري، لحسن
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2008
مكان انعقاد المؤتمر:	فاس
الهيئة المسؤولة:	كلية الآداب و العلوم الإنسانية سايس بفاس - المغرب
الصفحات:	141 - 148
رقم MD:	598735
نوع المحتوى:	بحوث المؤتمرات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الزعماء السياسيون ، البغدادي، محمد بن بوشتي ، التراجم ، فاس، المغرب
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/598735

الباشا البغدادي في ذاكرة فاس 1850-1932

لحسن أوري

الكلية المتعددة الاختصاصات – تازة.

تقـــديم:

يزخر تاريخ مدينة فاس العريقة بمحطات ومعالم بارزة، تهتدي بها مسيرة تطورها بتعاقب الأجيال. ولا يشد تاريخ هذه المدينة وتاريخ المغرب عن هذه القاعدة، لكونه يحفل بأحداث جسام، ساهمت في إغناء الذاكرة والتاريخ الخاص بهذه المدينة وبالشخصيات المخزنية التي تعاقبت على حكمها منذ سنوات خلت.

ومن أهم هذه الأعلام؛ في تاريخنا المعاصر وتاريخ مدينة فاس على وجه الخصوص؛ شخصية **الباشا محمد بن بوشتى البغدادي**، الذي تولى باشويتها في ظروف كان المغرب يعيش خلالها مخاضا سياسيا خطيرا وتقلبات هبت ريحها باستقلاله.

وقد اخترت المشاركة بقضية الباشا محمد بن بوشتى البغدادي وسيرته الذاتية وتاريخ سلطته بفاس وبغيرها من النواحي الأخرى إلى جانب أجهزة المخزن العلوي، أو إلى جانب السلطات الاستعمارية، باعتباره جزء لا يتجزأ من ذاكرة وتاريخ مدينة فاس العريقة، رغم أن ما تشير إليه الكتابات المغربية حول شخصه نادر بل يكاد ينعدم في أغلب الأحيان.

- فمن هو الباشا محمد بن بوشتى البغدادي؟
- ما هي المهام التي تقلدها في جهاز المخزن؟

وكيف كانت وضعيته إبان إعلان الحماية على المغرب؟



Source: Cp de fez représentant les autorités saluant le Pacha Bel Baghdadi, la veille de son départ pour le front. Cette carte est en bon état, écrite et datée de 1928.

*- الباشا محمد بن بوشتى البغدادي: 1850- 22 نونبر 1932.

ارتبط اسم الباشا البغدادي بمدينة فاس، ارتباطا تاريخيا ترجع عهوده إلى مرحلة متقدمة من تاريخ استقرار الجد الأول للباشا بقبيلة أولاد جامع بناحية فاس[1].

ومن بين أسلاف الباشا، عدد لا يستهان به من الفقهاء ورجال العلم والمحاربين، لكن الرجل الأول والمحارب المتقدم من هذه العائلة؛ هو قائد المخزن امحمد البغدادي الملقب ببوشتى، الذي كان قائدا على قبيلة بني مكيلد إبان عهد السلطان المولى سليمان(1792-1822) والذي توفي عن عمر يناهز السبعين سنة ليتولى مهامه ابنه محمد البغدادي كقائد الخيل والذي سيفارق الحياة هو الآخر على عهد السلطان المولى عبدالرحمان بن هشام[2].

استمرت عائلة البغدادي داخل أجهزة المخزن حيث تقلدت مناصب مهمة ضمن المخزن الحسني أهمها على الإطلاق وظيف عمالة وجدة ما بين نونبر 1869 وأكتوبر 1871 التي تقلدها

1- Marthe et Gouvion (Edmond), *Kitab Aayane Al-Marhrib'l-Akça*, Paris, 1939, T.2, p.752.

2- Ibidem.

بوشتى البغدادي الأب بعدما تمكن من تحقيق نجاحات باهرة في الحملات العسكرية والتأديبية التي كان السلطان المولى عبد الرحمان يكلفه بها وخلال حكم السلطان المولى الحسن ما بين شتنبر 1876 وأكتوبر1878 [3]، إذ رافقه في المنطقة الشرقية بعد تقويض أولاد سيدي الشيخ الثائرين والمدعمين من بعض رؤساء منطقة أنجاد، وفي طريقه إلى تافيلالت إثر حملاته العسكرية في اتجاه الجنوب[4] .

وفي سنواته الأخيرة تقلد منصب باشا مدينة فاس وقائدا على أزمور التي ناب عنه فيها خليفته الحاج الودهودي ELOUADHOUDI. وبوفاته سنة 1893 خلف أربعة أبناء:

1- محمد البغدادي بن بوشتى
2- الحسين بن بوشتى البغدادي
3- سعيد بن بوشتى البغدادي
4- إدريس بن بوشتى البغدادي.

جلهم تقلدوا مناصب مخزنية باستثناء الحسن الذي تابع تعليمه ليصبح فقيها وإدريس الذي انغمس في المجال الفلاحي وتربية المواشي. أما فيما يتعلق بصاحبنا هذا محمد بن بوشتى البغدادي المولود بمدينة فاس سنة 1850 والمعروف كذلك تحت اسم بوشتى البغدادي[5]، فقد عايش فترة السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام وهو في قصر الباشوية بفاس. كان تكوينه متواضعا حسب ما سُجل له كتصريح في كتاب أعيان المغرب الأقصى إذ يقول:" كنت طالبا، لكنني لم أكن من بين المتفوقين الذين تتلمذوا على الشيخ محمد بن سبيكة، بينما كنت أُرضي كبرياء والدي فيما يتعلق بركوب الخيل والمبارزة واستعمال السيف"[6] الذي سهرت جدته **الضاوية** على تعليمه وتلقينه إياه بقبيلة أولاد جامع اعتمادا على بعض محاربي دوار أولاد مكاتل M'Guatel[7].

لقد كان التكوين الأولي الذي تلقاه بالقبيلة التي ينحدر منها، الأساس الذي ستشب عليه شخصيته العسكرية والتي ستصقلها التجارب التي سيخوضها إلى جانب والده طيلة حياته في منطقة بني ازناسن حيث سيشارك لأول مرة في العمليات العسكرية في سن العشرين سنة ضد

3- Marthe et Gouvion (Edmond*), Kitab Aayane*…Op.cit., T.II, p.752.
4- Ibid, p.754.
5- El Baghdadi, (zohra), et Richard, (Chr), *Le Pacha Soldat. Vie du Pacha Si Mohammed El Baghdad*i, 1936, Préface du général Brémond, Paris, Larose,p.56.
6- Marthe et Gouvion (Edmond), *kitab*…Op.Cit., p.754.
7- El Baghdadi,(zohra), et Richard, (Chr), Le Pacha …Op.cit., p.59.

الحاج ولد البشير بن مسعود من قبيلة بني أورميش[8] للتلوها بعد ذلك تجربة كبيرة في كنف الجيوش المخزنية وعلى رأسها حركة سلطانية ضد بوعمامة القادم من منطقة فجيج وضد الريسوني في منطقة جبالة بالشمال التي سيصاب إبانها بجرح خطير في عنقه والذي حاول الجنرال فورمييلFourmiel تضميضه في الحين[9].

إن التجربة العسكرية التي عاشها الباشا محمد بن بوشتى البغدادي في أول الأمر كلفته جرحا بسيطا، لكنه لا يقارن بما خلفه وراءه من ضحايا في الحروب التي خاضها ضد القبائل سواء بالمنطقة الشرقية أو بالشمال، إذ تشير بعض التقارير العسكرية إلى " أنه خلف في ساحة معركة واحدة ضد بوعمامة حوالي 111 قتيلا " [10].

إن تتبع مسار شخصية الباشا محمد بن بوشتى البغدادي إبان الظروف والتحولات التي شهدها المغرب، تجعلنا نقف موقف الحائر من أمره في اتخاذ موقف معين من هذه الشخصية التي زامنت أصعب مرحلة من تاريخ المغرب (1873-1932) أي زمن الاستقلال وزمن الحماية، في غياب نصوص ووثائق مغربية توضح معالم هذا الموظف المخزني الذي لم نعتمد للتعريف به- باعتباره جزءا من ذاكرة مدينة فاس وتاريخها- سوى مراجع أجنبية أضفت عليه هالة تجعل القارئ يشك فيها سواء كجهاز لإدارة المخزن المركزي أو كمناصر وحليف للسلطات الاستعمارية إن صح التعبير.

1- الباشا محمد بن بوشتى البغدادي في جهاز المخزن.

بالرغم من ندرة ما كُتب حول هذه الشخصية بصفة خاصة، وغياب الوثائق والمستندات التي تساعد على فهمها من مختلف الزوايا، فإن ما تسعفنا به الكتابات الأجنبية، يوحي بتصلب عود هذا الشاب المخزني الذي تمكن بفضل قوته الحربية، من الإشراف على جيش عرمرم قوامه 500 فارس و8000 من المشاة وثمانية مدافع بالإضافة إلى لائحة من الضباط الذين اعتمد عليهم في حركاته كعشور الربعي من قبيلة آيت الربع والقائد الطاهر أو زيدوح من منطقة تادلا ثم القائد بوجمعة المسفيوي واللائحة طويلة[11].

إن وفاة والده المفاجئ بعد عودته من إيطاليا، زاد من عزمه ومن صلابة عوده خصوصا بعدما عينه السلطان المولى الحسن باشا على مدينة تارودانت في عُمُر يناهز 35 سنة، وأصحبه

8- Marthe et Gouvion (Edmond), *kitab*…Op.Cit., T.II, p.754.
9- Marthe et Gouvion (Edmond), *kitab*…Op.Cit., T.II, p.754.
10-Ibidem.
11- Ibidem.

معه في حملاته على منطقة سوس سنة 1885 التي كان فيها بمثابة الدبلوماسي المحنك والمحارب الكبير. لأنه خلال ثلاث سنوات فقط من تقلده منصب الباشوية على تارودانت، تمكن من إخضاع منطقة سوس، لتنتقل حملاته بعد ذلك إلى تيزنيت آخر مركز بالتخوم الصحراوية، الذي جلب منه عناصر جديدة أضافها إلى الجيش المخزني بما فيها قبائل الشلوح وحراتين الجنوب[12].

استمر شأنه في العلو والسمو، لكن وفاة السلطان المولى الحسن سنة 1894 بالشاوية[13] جعلته يعيش مخاضا كبيرا بسبب الفوضى العارمة التي كانت تجتاح البلاد وما آل إليه الوضع المخزني بعد تولي با احماد الوصاية، إلى حدود وصول المولى عبد العزيز إلى مراكش للاستقرار بها، حيث ستتاح له الفرصة لسماع إنجازات الباشا محمد بن بوشتى البغدادي وانتصاراته التي حققها على رجال الصحراء الزرق، إذ طالب المولى عبد العزيز مقابلته بقصره بمراكش[14]، التي لن يتحمل البغدادي فيها-بعد شهرين من الاضطراب- رؤية الثورة تغمر البلاد، إذ سيطلب من المولى عبد العزيز السماح له بالتدخل من أجل إخمادها خصوصا ثورة الشاوية، خوفا من تمزق الإيالة الشريفة، فوافقه السلطان الرأي[15] وسلمه قيادة المحلة الشريفة التي تمكن بواسطتها الباشا البغدادي من إعادة النظام إلى الشاوية في ظرف ثلاثة أشهر فقط.

لقد اكتسب محمد بن بوشتى البغدادي في البلاط العزيزي احترام العامة والخاصة بفضل إنجازاته العسكرية، ونُظمت مجموعة من الحفلات على شرف النجاحات التي حققها[16]، لكن الحظ لم يحالفه خلال مرحلة الانقلاب الحفيظي، إذ انسحب -بعد أن تفكك جيشه- قاصدا الصخيرات فكانت هزيمته الكبرى والأولى في حياته العسكرية وهو من مناصري المولى عبد العزيز الذي اتهمه المولى عبد الحفيظ ببيع البلاد للمسيحيين[17].

إن ما يمكن أن نخلص إليه، هو إن الباشا شارك بشجاعة في جل الحملات العسكرية على عهد السلطان المولى الحسن والمولى عبد العزيز الذي مثله في منطقة الريف ما بين 1901 و1908 ضد كل من الريسوني وبوحمارة[18].

12- El Baghdadi, (zohra), Richard, (Chr), *Le Pacha,*…op.cit., p.66.
13- Ibid., p. 69.
14- Ibid, p.70.
15- Ibid., p.72.
16- Ibid., p. 73.
17- Ibid., p. 91.
18 - Marthe et Gouvion (Edmond), *kitab*…Op.Cit., T.II, p.755.

عاد الباشا إلى مدينة فاس تحت تهديد السلطان الجديد، وتقدم إلى القصر للمثول أمام المولى عبد الحفيظ الذي أمر بوضعه وراء القضبان إلى جانب أخيه سعيد بن بوشتى البغدادي. إلا إن سجنه لم يدم طويلا إنصافا لقبيلة أولاد جامع والقبائل الأمازيغية التي أبدت تعاونها وولاءها للسلطان المولى عبد الحفيظ، الذي أرسله من جديد لتولي القيادة بالقصر الكبير في انتظار تكون المحلة الجديدة التي سيكلفها السلطان بالخروج للقضاء على ثورة بوحمارة [19].

3- جوانب من نشاط الباشا محمد بن بوشتى البغدادي إبان التدخل الفرنسي بالمغرب

بعد وصول الجيوش الاستعمارية إلى مدينة فاس، جعلت الباشا محمد بن بوشتى البغدادي؛ وبمعية من السلطان المولى عبد الحفيظ؛ عنصرا حليفا للبعثة العسكرية التي كانت مهمتها هي تقويض القبائل الأطلسية الثائرة، بما فيها آيت يوسي بقيادة رئيس البعثة العسكرية الفرنسية الجنرال بريمون Brémond.

وفي هذا الصدد يقول ويس جيربير؛ مرافق البعثة الفرنسية عن الباشا البغدادي: *« إنني تعرفت على الباشا أثناء العمليات العسكرية للجيوش الشريفية حول مدينة صفرو خلال شتنبر* 1911 وهو يقود محلة من 1700 محارب منهم 300 فارس وثلاثة مدافع من عيار 75، محاطة بضباط البعثة العسكرية الفرنسية[20] إبان هذه المرحلة من العمليات العسكرية التي خاضتها البعثة العسكرية إلى جانب المحلات السلطانية، تمكن الباشا البغدادي، ليس فقط من قيادة المحلات الشريفية، ولكن من تسجيل ملاحظاته مقتنعا بتفوق الجيوش الفرنسية خطة وعدة واستراتيجية ومن حيث الحلول المقترحة والمعتمدة في الحين لتجاوز مصاعب الحملة العسكرية، لكن ما أبهر الباشا وأثر فيه بعمق شديد هي" العدالة والإحسان الذين امتاز بها الرؤساء أو القواد الفرنسيون اتجاه المنهزمين "[21].

إن ما يمكن الإشارة إليه بخصوص تولية محمد بن بوشتى البغدادي باشوية مدينة فاس هو كونه الوحيد من استفاد من أحداث فاس الدامية لأبريل 1912، إذ عينته السلطات الاستعمارية باشا على الحاضرة الفاسية، فبادر إلى خدمتها (السلطات الاستعمارية) بولاء كبير، إذ رفع شعار القضاء على ثورة أهل فاس والناحية بمشاركته في عملية متابعة الثائرين على نظام الحماية بما فيهم الضباط والجنود المغاربة الذين رفضوا الامتثال للضباط الفرسيين، فأصبح محمد بن بوشتى

19- El Baghdadi, zohra, Richard, Chr, *Le Pacha*,…Op.cit., pp.93-94.
20 - Ibid., pp.99-100 .
21-- Ibid, p.104.

البغدادي الساعد الأيمن للجنرال كوروGouraud، وسيد الموقف في حرب الريف إلى جانب جيوش الاستعمار التي قادها الجنرال نوجيس، حاصلا من وراء ذلك على وسام جوقة الشرف : la grande croix de la légion d'honneur[22]

إن العشرين سنة التي قضاها الباشا البغدادي في باشوية مدينة فاس عاشها بين نظام قديم بهياكله ومؤسساته ونظام جديد بمؤسساته ورجالاته.

فقد مارس مهام الباشا والعامل والقاضي على عهد السلطان المولى الحسن بتارودانت، وكان مكلفا بالحفاظ على أمن المدينة واحترام القرارات السلطانية، وكان القاضي الوحيد الذي لا تستأنف أحكامه" وتُنفذ دون أجل، فكانت له سلطة الحكم بالغرامات والسجن وبعقوبة الإعدام كذلك"، فكان من خاصياته التي أخذها عن فرنسا الحكم بالعدالة، إلا أن ظهير 8أبريل 1917 غير مهامه وقلص من سلطاته التي ستُعلق بموافقة مندوب الحكومة الشريفة عليها[23]. رغم ذلك، فإن الباشا واصل ولاءه للقواد الفرنسيين الذين انبهر بهم، واستمر في حماية عناصر الجالية الأوربية بالمدينة، فكان المثال والقدوة والإنسان العادل في نظر الفرنسيين، الذين أطلقوا له العنان إلى حد أن الظهير السابق لم يعد ساري المفعول مع سلطات الباشا التي أصبحت مطلقة؛ خصوصا بعد إصدار الظهير المؤرخ ب 16 ماي 1930؛ والتي مارسها بحرية على الشباب الوطني بمدينة فاس، الذي ثار على الأوضاع التي شهدتها البلاد والمدينة على وجه الخصوص، بل زادت سلطته حدة بفرض حضر التجول على نساء المدينة ومنعهم من تجاوز أسوارها العتيقة، باستثناء باب المحروق المؤدية إلى مستشفى كوكار.

وإنصافا له، حاولت السلطات الاستعمارية منحه التقاعد في سن الثمانين سنة، لكنه رفض قائلا:" ليس هناك تقاعد تطوعي في نظيمة المخزن، فإن كنت قادرا على تسيير فاس فاحتفظوا بي وإلا ضعوا أحدا مكاني ولا تهتموا بمستقبلي"، رافضا بذلك لقب الباشا الشرفي الذي قدمته له سلطات الحماية على مدينة فاس[24].

وبتاريخ 22 نونبر 1932 توفي الباشا محمد بن بوشتى البغدادي وهو منغمس في مهامه وانشغالاته وسط عائلته، بعدما وُشّحَ صدره بوسام جوقة الشرف من طرف السيد **دوميرك**Doumergue.أثناء زيارته للمغرب خلال سنة 1930.

---

22 - Marthe et Gouvion (Edmond), *kitab*...Op.Cit., T.II, p.756.

23 - El Baghdadi, zohra, Richard, Chr, *Le Pacha*,...Op.cit., pp.131-132.

24- Ibid., p.135, voir aussi *la Vigie marocaine*, 1ér décembre 1932.

لقد خرج لتأبين جثمانه مجموعة من الضباط الفرنسيين، وأهل فاس الذين يحتفظون له بذكريات وبتاريخ حافل بالبطولات والشجاعة حسب ما صرحت به مجموعة من الشخصيات سواء منها المخزنية أو الفرنسية، فكان صديقا وفيا لفرنسا، وأحسن ما يُستشهد به على ذلك العبارات التي صرحها بها الجنرال دو ماركيز:" لقد رحل الباشا البغدادي/ لكن السفينة التي قادها هذا الربان والمحملة بالمصالح العظيمة لهذه المدينة قد وصلت إلى بر الأمان" [25].

لكن هل الباشا البغدادي فعلا قد وصل إلى بر الأمان، أم أنه أبلغ السفينة الفرنسية إلى بر الأمان، انطلاقا من فلسفة ليوطي القاضية بإخضاع المغرب بواسطة المغاربة، شأن البغدادي هو نفس شأن القيادات الكبرى بالجنوب المغربي، خصوصا بحوز مراكش والتي مثلتها القيادات الكبرى كالكلاوي والعبدي والمتوكي، وغيرهم ممن أسهموا في إنقاد السفينة الفرنسية التي أوشكت على الغرق، كما عبرت على ذلك الأدبيات الاستعمارية بشتى تلاوينها وأبلغوها إلى بر الأمان بكل ما يملكون من قوة وسيادة على القبائل التي كانت تحت سلطتهم منذ تقزيم القيادات الكبرى على عهد السلطان المولى الحسن.

25- El Baghdadi, zohra, Richard, Chr, *Le Pacha*,…Op.cit., p.136.